التساؤلات التفسيرية وأجوبتها السنية في النكت القرآنية

للإمام علي بن فضال المجاشعي القيرواني(ت ٤٧٩هـ)

عرض ودراسة

إعداد:

د/ علال عبدالقادر عبدالسلام بندويش

أستاذ مساعد بقسم الكتاب والسنة

بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة ام القرى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

التساؤلات التفسيرية وأجوبتها السنية في النكت القرآنية للإمام علي بن فضال المجاشعي القيرواني(ت ٤٧٩هـ)

(عرض ودراسة)

علال عبدالقادر عبدالسلام بندويش

قسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى – المملكة العربية السعوديى.

البريد الألكتروني : dbndwysh@gmail.com

الملخص :

يهدف البحث إلى إبراز مكانة الإمام ابن فضال المجاشعي الذي طبقت شهرته الأمصار وتناقل العلماء أخباره وأقواله عبر الأزمنة ، وإبراز القيمة العلمية لنكت القرآن حيث جمع في هذا السفر مالم يجمع في أسفار ، وتكمن أهمية موضوع النكت في أسرار التفسير ومشكلاته من دقائق الكتاب العزيز وحلها بعبارات واضحة جلية كما يهدف البحث لدراسة التساؤلات التفسيرية في النكت القرآنية للإمام ابن فضال المجاشعي وموازنتها بأقوال المفسرين لبيان الصواب في أي الجانبين وترجيح ما يظهر رجحانه بالحجة والدليل من أول الفاتحة إلى نهاية الحزب الأول من سورة البقرة عرضا ودراسة .

الكلمات المفتاحية : التساؤلات – التفسيرية – الأجوبة – السنية – النكت القرآنية – ابن فضال – عرض – دراسة .

Interpretive Inquiries and their Sunni Answers in the Secrets of Qur'an By Imam Ali bin Fadal Al-Majashii of Al-Qayrawani (Year 479 AH)

(Presentation and Study)

Alal Abd-Elkader Abd-Elslam Bandaweesh

Department of Holly Book and Sunnah , College of Call and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: dbndwysh@gmail.com

Abstract:

The research aims to highlight the status of Imam Ibn Fadhal Al-Mujahi, whose fame spread all over the regions. Besides, scholars transmitted his news and sayings through the ages. It also aims to highlight the scientific value of the secrets of Qur'an as he collected in this book what was not collected in many books. The importance of the subject: "the secrets of Qur'an" lies in the secrets of interpretation and its difficulties of the eloquence of the Holly Book and solving them in clear and perfect terms. In addition, the research aims to study the interpretive questions in the secrets of Qur'an of Imam Ibn Fadal al-Majashi and to balance them with the sayings of the interpreters to clarify the correctness in which sides and weight what appears to be preeminent by argument and evidence from the beginning of al-Fatiha to the end of the first party of Surat Al-Baqarah through presentation and study.

key words: Inquiries, Interpretive, Answers, Sunni, the Secrets of Qur'an, Bin Fadal, Presentation, study

مقدمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى أله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أكرم بها نبينا- صلى الله عليه وسلم- وأعجز بها الثقلين وقسم بها ظهور المشركين.

وتولى حفظة بنفسه ولم يكل حفظة لغيره فقال -تعالى- وهو أصدق القائلين {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:٩) ومن مظاهر حفظه تعاور أقلام العلماء على خدمته من جميع جوانبه كل يغترف من بحره حسب مكنته وقدرته ولن تنته عجائبه وعلومه فدبجت يراعهم فيه أحمالا من الأسفار عبر العصور والأزمنة وكان ممن ضرب بسهم وافر من علومه الامام ابن فضال المجاشعي فدون فيه اسفارا كثيره تشتمل على علوم غزيرة وجمع خلاصتها في كتابه المنيف ذي الجرم اللطيف الموسوم بالنكت القرآنية الذي عمد فيه الى دقائق المعاني والإعراب فأزال مشكلهما وأوضح معانيهما بعبارات لطيفة وتوجيهات منيفة لذا حله العلماء المحل الأسنى وجعلوه في صدارة نظراءه في بابه لدقة مسلكه وغزارة علمه وقد تنبه الباحثون لقيمة هذا الكتاب فأقاموا عليه دراسات

كثيرة و متنوعة فأحببت أن أدلي معهم بدلوي في دراسة بعض تساؤلاته التفسيرية التي لم يحم أحد حولها في كتابه لعل الله تعالى يكتبني في زمرة خدمة كتابه .

وصلى الله وسلم على نبيه واله وصحبه ومن اهتدى بهداه واستن بسنته.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أمور:

١-مكانة الأمام ابن فضال المجاشعي فقد طبقت شهرته الأمصار وتناقل العلماء أخباره وأقواله عبر الاعصار.

٢-القيمة العلمية لنكت القران فقد جمع في هذا السفر مالم يجمع في أسفار.

٣-أهمية موضوع النكت في أسرار التفسير ومشكلاته من دقائق الكتاب العزيز وحلها بعبارات واضحية جلية.

***الأسباب التي دعت لهذا البحث منها:**

١-المشاركة في دراسة هذه التساؤلات التي خصص لها ابن فضال حيزا كبيرا من هذا الكتاب وانتخب له أشكلها وأدقها فرجوت دراستها وموازنتها.

٢-إبراز القيمة العلمية لهذه التساؤلات التي دبجتها يراعة ابن فضال والتعرف على السنن الذي سلكه في تناولها.

٣-شرف هذا العلم لتعلقه بأشرف الكتب والعلوم تشرف بمتعلقها ومتعلق هذه

التساؤلات هو القران الكريم.

مشكلة البحث:

تتجلي مشكلة هذا البحث في التساؤلات التي أوردها ابن فضال في النكت القرآنية وتتمحور في الأسئلة الأتية:

ما مدى قيمة تلك التساؤلات؟ وما مدى موافقتها الأقوال أئمة التفسير؟ وهذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها الا بعد دراسة التساؤلات وموازنتها بأقوال المفسرين وبيان راجحها من مرجوحها وحينها أمكن الوقوف على كنهها والوصول إلى حلها إن شاء الله.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث لدراسة التساؤلات التفسيرية في النكت القرآنية للإمام ابن فضال المجاشعي وموازنتها بأقوال المفسرين لبيان الحق في أي الجانبين وترجيح ما يظهر رجحانه بالحجة والدليل.

حدود البحث:

يدور هذا البحث في فلك التساؤلات التفسيرية التي أوردها ابن فضال في النكت القرآنية من أول الفاتحة إلى نهاية الحزب الأول من سورة البقرة عرضا ودراسة.

***الدرسات السابقة:**

حظي الإمام ابن فضال بكثير من الدراسات العلمية سواء من خلال مقدمات كتبه التي حققت أو الدراسات التي أقيمت عليها منها:

١-المستوى التركيبي لابن فضال في شرح عيون الإعراب لمحمد سعيد ربيع الغامدي رسالة الدكتوراه.

٢-جهود علي بن فضال المجاشعي اللغوية في كتابه النكت في القران دراسة وصفية لعايد محمد عبد الله الفتلي جامعة الكوفة ١٤٣٣هـ .

٣-مذهب ابن فضال وشواهده في كتابة شرح عيون الأعراب لعماد حميد الخزرجي م٢٠٠٩.

٤-المسائل النحوية والصرفية في نكت القران لعلي مصباح زلطوم رسالة الدكتوراه جامعة المنصورة ١٤٣٨هـ.

٥-الأعاريب التي ردها ابن فضال في نكت القران لمحمد إبراهيم حسانين جامعة الأزهر كلية اللغة.

٦-آراء ابن فضال واختياراته النحوية والتصريفية في نكت القران لسليمان صالح الزميع جامعة الإمام ١٤٣٠هـ.

٧- مقدمة تحقيق النكت لعبد الله عبد القادر الطويل رسالة دكتوراة جامعة

المستنصرية٢٠٠٥م.

٨- مقدمة تحقيق النكت لإبراهيم الحاج علي رسالة ماجستير جامعة أم القري كلية اللغة ١٤٢٤هـ.

٩-مقدمة شرح عيون الإعراب تحقيقات مختلفة .

١٠-مقدمة كتاب الإشارة إلى تحسين العبارة للدكتور حسن شادلي مطبوع.

منهج البحث:

*حصر الأسئلة المقصودة بالدراسة وأجوبتها.

*دراستها وموازنتها بأقوال المفسرين مع بيان الراجح من الأقوال.

*رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها.

*تخريج الأحاديث والاثار الواردة في الدراسة فأن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفت بذلك وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما اجتهدت في تخريجه.

*تخريج الشواهد الشعرية من دواوين أصحابها أن كانت لهم دواوين

*لم أترجم للإعلام الواردة في النص لشهرتها وكثرة من ترجم لها إلا إذا كان العلم مغمور او غير معروف أعرف به باختصار شديد.

*توثيق النقول من مصادرها الأصلية.

*مراعاة علامات الترقيم دون إسراف في ذلك.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة وفيها:

- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- مشكلة البحث
- هدف البحث
- حدود البحث
- الدراسات السابقة
- منهج البحث

المبحث الأول: ترجمة ابن فضال

المبحث الثاني: تعريف التساؤلات ومنهج ابن فضال فيها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التساؤل

المطلب الثاني: منهج ابن فضال في التساؤلات

المبحث الثالث: التساؤلات التفسيرية في النكت القرآنية

المبحث الأول
ترجمة ابن فضال

التعريف بالإمام ابن فضال المجاشعي

اسمه ونسبه:

هو: علي بن فضال بن علي بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن عيسى بن حسن بن زمعة بن هميم بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد أبن سفيان بن مجاشع القيرواني التحوي أبو الحسن المجاشعي .

ولادته ونشأته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن فضال سنة ولادته غير أنها اتفقت على أن ولادته ونشأته كانتا بالقيروان[1].

(١) انظر ترجمته: إشارة التعيين ص٢٢٤ - المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ٣١٩/١ البداية والنهاية لابن كثير ١٣٢/١٢ - تلخيص أبن مكتوم ١٤٨/١٤٦ - روضات الجنات للخونساري ٤٨٥ - شذرات الذهب لابن العماد ٣٦٣/٣ - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٧٧/٢-١٧٨ - طبقات المفسرين للداودي (١٢١) - طبقات المفسرين للسيوطي ٢٥,٢٤ - المنتظم (وفيات سنة ٤٧٩) - كشف الظنون١١٩٧/٢٧ - النجوم الزاهرة ١٢٤/٥ - مرآة الجناس ١٢٣/٣- البلغة ١٦١- إنباه الرواة ٢٩٢/٢ - معجم المؤلفين ١٦٥ الأعلام ٣١٩/٤ قال ياقوت: هكذا وجدته (هميم) والمعروف (همام).

وذهب السيوطي وتلميذه الدواودي وتبعهما عمر كحالة إلى انه ولد بهجر وهو وهم نشأ عن سبق نظر في كلام من قبلهم ممن ترجم له فقد قالوا إنه: (هجر مسقط رأسه ودوخ الأرض طولا وعرضا فظنوا بأن هجر مسقط رأسه والله أعلم.

كذلك لم تسعفنا المصادر التي ترجمت له بالحديث عن نشأته وأكتفت بسرد رحلته وتصدره للتدريس والإقراء .

فلم تعنا على رسم صورة واضحة على معالم نشأته وطلبه للعلم ولم تهتم كتب تراجم الأندلس بذكره أو التنويه به ولا كتب طبقات علماء المالكية مما يؤكد لدينا أنه لم يكن عالما أنذاك او متصدرا وانما اكان طالبا للعلم ولم يشتهر إلا بعد نبوغه وتصدره للإقراء والتدريس ومخالطة كبار علماء عصره وكذلك تتلمذ نوابغ الطلبة عليه وشهرة مصنفاته .

رحلاته:

بالرغم من جلالة ومنزلة أبن فضال. رحمه الله. وكثرة الأخذين عنه مع اختلاف أوطانهم هناك شح وقلة معلومات عن تنقلاته ورحلاته إلا النزر اليسير .

قال ياقوت (هجر مسقط رأسه ورفض مألوف نفسه وطفق يدوخ بسيط الأرض ذات الطول والعرض، بشرق مره وبغرب أخرى، ويركب القفار ويأوي إلى ضل

الأمصار برهة حتى ألم بغزنة فألقى عصاه بها، ودرت له أخلافها فلقي وجه الأمام[1].

وذكر القفطي في ترجمته: (ودوخ الأرض ذات الطول والعرض، مصر وشاما، وعراقا وعجما،حتى وصل إلى مدينة المشرق غزنه[2].

فتقدم بها، وأنعم عليه أماثلها، واختاروا عليه التصانيف وشرع في ذلك، وصنف لكل رئيس منهم ما اقتضاه، ثم أنكفأ راجعا إلى العراق وانخرط في جماعة نظام الملك حسن بن إسحاق الطوسي الوزير، ولم تطل أيامه بعد ذلك حتى ناداه اللطيف الخبير

وقال تلميذه عبد الغافر، ورد نيسابور في سني نيف وأربعمائة، وعاد ثانية إلى بغداد وأقام به مدة إلى أن جاءنا نعيه[3].

شيوخه:

(١) معجم الأدباء (١٤-٩٠-٩٨).

(٢) إنباه الرواة (٢-٢٩٩).

(٣) السياق (٣٩٥).

هناك غموض أحاط بكل جوانب حياة أبن فضال المجاشعي رغم ما ذكره مترجموه من شهرته أنه علم من أعلام النحو واللغة والتفسير وكان خليقا بهذه الشهرة أن يكون لصاحبها ترجمه حافلة تحكي تفاصيل حياته وتروي دقائق طفولته وشبابه وكهولته وبداية تلقيه العلم في مسقط رأسه وشيوخه هناك ثم شيوخه بعد رحلاته التي طوف بها البلاد وقد ذكر أسماء بعض شيوخه في كتابه النكت فأفاد وأجاد منها روايات عن شيوخه الذين اخد عنهم وما يستشف أنه ولد في بيئة صالحة وترعرع في بيت علم وآية ذلك روايته عن والده : فضال بن علي بن غالب المجاشعي وقد ذكره غير مره في كتابه النكت ولم تسعفنا المصادر بأي ذكر له وهذه إلماعة عن شيوخه الذين تتلمذ عنهم .

***الإمام الجليل أبو محمد مكي أبن أبي طالب القسي المقرئ ت (٤٣٧)**

قرأ القراءات على أبي الطيب بن غليون سنه (٣٧٦) وسمع من الأذقوي، ثم رحل سنه ٣٨٢ وحج ودخل الأندلس سنه ٣٩٣هـ من مصنفاته: مشكل إعراب القران، الكشف عن وجوه القراءات السبع توفي سنة (٤٣٧) [١].

***أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري** الأندلسي رحل إلى المشرق سنة ٣٨٤ فأخد في طريقة بالقيروان عن بعض علمائها وحج واستوطن

(١) انظر ترجمته في طبقات القلذهبي () غاية النهاية لابن الجزري.

مصر، وحدث عن جماعة من أهلها مالك، روى عن جماعة من علماء الأندلس، وخرج من مصر إلى الشام سنة ٤٤٧ وتوفي بها سنه (٤٤٨) [١].

***أبو الحسن الحوفي**[٢]: هو علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي عالم بالنحو والتفسير والعربية قرأ على أبي بكر الأذفوي، وأخذ عنه وأكثر وطالع الكتب، ولقي جماعة من علماء المغرب القادمين على مصر وغيرهم له كتاب إعراب القران وغيره توفي سنة (٤٣٠) .

تلامذته:

فيما مضى تعرفنا على مكانة ابن فضال العلمية وإن كان ينتابها بعض القصور والغموض اذ لم تكن ترجمته واضحة جليه إلا أن التاريخ سطره في كبار أئمة عصره ولا شك أن شهرته وامامته وتصدره جعلت الطلبة يرحلون إليه من كل حدب وصوب طلبا لما عنده من أفاضل عصره في شتى الفنون فكان منهم الفقيه البارع والمحدث الحافظ والمؤرخ الحاذق واللغوي الفصيح وغيرهم على اختلاف تخصصاتهم، ولقوة شخصية الشيخ وقدرته العلمية على تكوين الأثر

(١) انظر ترجمته في جدوة المقتبس (٢٦١) الصلة لابن بشكوال ٢٥٧/٢ بغية المتلمس (٣٥٢).

(٢) انظر ترجمة: معجم الأدباء لياقوت ٢٢١/١٢ -٢٢٢ إنباه الرواة ٢١٩/١ -٢٢٠ بغية الوعاة.

الكبير في نضوح عقليه التلميذ وتكونه: وهذا تبت بأشهر تلاميذه[1].

ابن الشجري، هبة الله بن علي الحسيني ولد ببغداد في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة تتلمذ على جلة من علماء عصره، كان تام المعرفة باللغة وعلومها قال عنه ياقوت (كان أوحد زمانه وفرد أونه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعا من الأدب، كامل الفضل واقرأ النحو سبعين سنة) من تأليفه الأمالي الشجري توفي سنة ٥٤٢[2].

***إمام الحرمين الجويني:** أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الطائي السنبسي النيسابوري الشافعي إمام معروف تتلمذ على شيوخ عصره حتى فاق الأقران وأعجز الفصحاء سمع الكثير في صباه وجاور بمكة ألف الكتب الحسان.

وصفه شيخه ابن فضال بقوله (ما رأيت عاشقا للعلم مثل هذا الأمام)

توفي ليلة الأربعاء الخامس من ربيع الأخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة[3].

---

(١) انظر ترجمته: معجم الأدباء ٢٨٢/٩ -٢٨٤ .

(٢) إنباه الرواة ٣٥٦/٣ – ونزهة الألباء ص٤٠٤ .

(٣) انظر ترجمته: تبين كذب المفتري ج٧٩/٢ طبقات الشافعية الكبرى ٢٥٠/٣ والمنتخب من السياق ص٣٣٠-٣٣١.

***الفارسي عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي أبو الحسن النيسابوري**، الإمام العالم الحافظ، مصنف كتاب (مجمع الغرائب في غريب الحديث، وتأريج السياق لتاريخ نيسابور وكتاب المفهم لشرح مسلم) توفي سنه ٥٢٩ [١].

***الشحي أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن علي البغدادي** الامام الجوال الصدوق الفقيه المالكي النصري من محلة النصرية التاجر الصفار ولد سنه إحدى وعشرين وأربعمائة سمع من أبا بكر أحمد بن الصقر وأحمد بن السواق وعبد العزيز بن علي الأزجي وأبا طالب بن غيلان وعدة.

حدث عنه الخطيب شيخة وابن الزاغوني وخلق شيخ جليل فاضل ثقة توفي سنه ٤٨٧ [٢].

***الغزي إبراهيم بن عثمان أبو إسحاق إبراهيم بن يحيي بن عثمان الكلبي**، الغزي ولد بغزة سنه ٤٤١ شاعر خراسان سافر الدنيا ومات نواحي بلخ سنه ٥٢٤ [٣].

---

(١) انظر ترجمته لنفسه في المنتخب.

(٢) انظر ترجمته سير أعلام النبلاء ١٥٢/١٩ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

(٣) انظر ترجمته في خريدة القصر الباخرزي ٦٦٦/١٠-٦٦٧ نزهة الألباء ص٣٧٨ .

***الطيوري المبارك بن عبد الجبار** المحدث العالم من أهل الكرخ محدث بغداد ومسندها كان أكثر مشايخ وقته سماعا وأعلاهم إسنادا كتب بخطه مالا يدخل تحت حصر ، توفي سنه ٥٠٠[١].

***السقطي أبو البركات هبة الله ابن المبارك بن موسي** قال ابن السمعاني غير انه ادعي السماع من شيوخ لم يرهم توفي يوم الخميس ثاني جمادى الأولى ودفن في مقبرة باب حرب [٢].

***ابن جوا مرد محمد بن أحمد الشيرازي** الأصل البغدادي الدار أبو بكر القطان كان مشهور بالأدب والنحو شيخ ابن الخشاب ومخرجه قراء على ابن فضال وغيره[٣].

***الذهلي شجاع بن فارس ابن حسين ابن غريب** الحافظ أبو غالب الشيباني السهرودي الحريمي ولد سنه ثلاثين وأربعمائة سمع خلق قال أبو سعيد السمعاني

(نسخ بخطه كثيرا من التفسير والحديث والفقه مالم ينسخه أحد من الوراقين

---

(١) انظر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في شدارت الذهب ٢٦/٤ ، التقيد لمعرفة رواه السنن والمسانيد ت ٣١٤ لسان الميزان ١٨٩/٦ .

(٣) انظر ترجمته في انباه الرواة ٥٣/٣ ، طبقات النحاة لقاضي شهبه ص٣٣، معجم السفر ٣٤٦

توفي سنه سبه وخمسمائة عشية الأربعاء ودفن بمقبرة باب) [١].

***البكري أبو محمد عبد الله بن عمر بن الحسين الشريف** قال عبد الغافر عنه (شاب فاضل نبيل حضر معنا مجلس الاستفادة من الامام أبي الحسن علي بن فضال المشاجعي النحوي القام علينا سنة سبيعين وأربعمائة وسمع من تصانيفه نكت القران وانتسخها ثم توفي سمع من الصاعدية والحاكم والسراجي[٢].

***الحريري:** القاسم بن علي بن محمد الحريري أحد أئمة أهل الأدب واللغة ولم يكن له في فنه نظير في عصره فاق أهل زمانه بالذكاء والفصاحة وتنميق العبارة وتحسينها وأخذ عن ابن فضال الأدب[٣].

***صاعد بن سيار بن محمد بن عبد الله الإسحاقي** المحدث، الحافظ، أبو العلاء الإسحاقي الهروي الدهان حج وحدث ببغداد عن عبد الرحمن بن أبي عاصم أبي عامر الأزدي وشيخ الإسلام أبي أسماعيل وعلي بن فضال النحوي وعده [٤].

***العمراني سالم بن محمد بن منصور أبو منصور (ت٥١٣)** [٥].

---

(١) الأنساب للسمعاني، اكمال الاكمال ٢٣٧/٣ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٤/٤

(٢) المنتخب من السياق ص ٢٩٢.

(٣) انظر ترجمته معجم الأدباء الياقوت ٢٦١/٦ ، انباه الرواة ٢٣/٣.

(٤) سير أعلام النبلاء / التقييد لمعرفة رواه الأسانيد .

(٥) بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٢٩٦/٥ .

***الشيباني عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد الذهلي** (ت٥٢٢) [1].

مذهبه:

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن فضال المذهب الفقهي الذي كان يتمذهب به على عادة كثير من العلماء فالقيروان التي ولد بها أهلها مالكيون ولم يشر إليه أحد من مترجمي المالكية مما يدل دلالة واضحة على عدم انشغاله بالفقه والغوص فيه.

أنه هجر مسقط رأسه قبل أن يشتد عوده وقد صرح مترجموه بإمامته في العلوم اللغوية والقرآنية أخدها عند كبار العلماء والأدباء في غزنه ونيسابور والحرمين وبلاد الشام والعراق وغير ذلك .

وقد ذكرت مصادر ترجمته حكاية على لسان قال: محمد بن طاهر المقدسي: سمعت إبراهيم بن عثمان الأديب العربي نيسابور يقول:

لما دخل أبو الحسن على ابن فضال النحوي نيسابور اقترح عليه الأستاذ أبو المعالي الحويني أن يصنف باسمه كتابا في النحو، فصنفه وسماه الأكسير .....الخ

---

(١) ذيل تاريخ بغداد ٦٣/٥ .

قال السمعاني: وكان كما علمت وقاعة في كل انتسب إلى مذهب الشافعي لأنه كان حنبليا.

هكذا قال السمعاني وليس له ذكر في تراجم الشافعية والله أعلم.

شعره:

كان الإمام ابن فضال –رحمه الله– شاعرا ملهما، فنسبه ينتهي إلى الشاعر الفرزدق وقد حلاه الباخزري في الدميه ب (شاعر الحرمين وقد صارت ببعض ابياته الركبان: وتداولها حداق الأدباء .

ومن شعره:

*وأنشد ابن فضال في نظام الملك:

والله إن الله رب العـــــبادخالص النـــية والاعتـــقاد

يا أمـــــلح الناس بلا مريةمن غير مستثنى ولا مســتعاد

ما زادني صـــدك إلا الهوى وســـــوء أفعالك إلا وداد

وإنني مـــــنك لفي لوعةأقل ما فيها يذيب الجمـــاد

فكن كما شئت فأنت المني واحكم بما شئت فأنت المراد

وما عـــسى تبلغه طاقتي وإنما بين ضـــــلوعي فؤاد

*ولابن فضال أيضا

وإخوان حسبتهـــــــــم دروعافكإنوها ولكن للأعـــــــــادي

وخلتهم سهـــــــــــام صائباتفكإنوها ولكن في فـــــــؤادي

وقالوا: قد صفت مـــــــــنا قلوبلقد صدقوا، ولكن عن ودادي

*ومن شعره أيضا

خذ العلم عن راويه واجتلب الهدىوإن كان راويه أخا عمل زاري

فإن رواة العلم كالنخـــــــــل يانعاكل الثمر واترك الـــــعود للنار

ثناء العلماء عليه:

أثني عن ابن فضال كل من ترجم له وعدوه من أكابر علماء عصره فأشادوا بذكره: قال عنه تلميذه عبد الغافر الفارسي ت٥٢٩ (الإمام المطلق في النحو والصرف والتفسير [١]).

وقال أيضا: وجدته بحرا في علمه، ما عهدت في البلدين ولافي الغرباء مثله في حفظه ومعرفته وتحقيقه فأعرضت عن كل شيء وفارقت المكتب ولزمت بابه

(١) السياق ٤٣٢/١ .

بكرة وعشيا وكان على وقار.

وقال العماد: ت٥٩٧ (اتفقت له عدة تصانيف بأسامي أكابر غزنه سارت في البلاد [١]).

وقال ابن الجوزي ت٥٩٧ كان له علم غزير وتصانيف حسان [٢].

وقال القفطي ت٦٤٦ كان رحمه الله إماما في النحو واللغة والتصريف والتفسير، موفقا في التصنيف، صنف التواليف المفيدة [٣].

وهو عند ابن كثير ت٧٧٤ (له المصنفات الدالة على علمه وغزاره فهمه[٤].

لقبه الذهبي ت٧٤٨ بشيخ النحو [٥].

وقال الفيروز ابادي: ت٨١٧ إمام نحوي بارع [٦].

---

(١) خريدة القصر ٩٧/١ .

(٢) المنتظم ٣٣/٩ .

(٣) إنباه الرواة ٣٠٠/٢ .

(٤) البداية والنهاية ١٦٢/١٢.

(٥) سير اعلام النبلاء ٤٤٧/١٨ ,

(٦) البلغة ١٦١ .

هذه إلمامه قصيرة وشهادات من علماء فحول قبدوها في كتبهم تبين فضله بين علماء عصره، فكان بحق أستاذ الزمان معظما عند الخاصة والعامة.

مؤلفاته:

قال القفطي (كان رحمه الله إماما في النحو واللغة والتصريف موفقا في التصنيف، صنف التواليف المفيدة)

فكانت مصنفاته متنوعة لم تقتصر على فن من الفنون فمنها:

*إكسير الذهب في صناعة الأدب في النحو. في خمس مجلدات [١].

*الإكسير في علم التفسير خمسة وثلاثون مجلداً [٢].

*الدول في التاريخ: قال ياقوت: رأيت في الوقف السلجوقي منه ببغداد ثلاثين مجلدا ويعوزه شي اخر[٣].

*الفصول في معرفة الأصول[٤].

---

(١) إنباه الرواة ٣٠٠/٢.. معجم الأدباء ٩٦/١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٢٢/١٨ .

(٣) معجم الأدباء .

(٤) إنباة الرواة ٣٠٠/٢ .

*الإشارة إلى تحسين العبارة[١].

*شرح معاني الحروف للرماني[٢].

*شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب.

*شرح بسم الله الرحمن الرحيم في مجلدة كبيرة.

*شرح عنوان الذهب.

شرح عيون الإعراب، ويذكر أحيانا باسم: شرح عنوان الإعراب [٣].

*العروض [٤].

*العوامل في النحو.

*العوامل والهوامل في النحو [٥].

---

(١) طبع في الرياض بتحقيق حسين فرهود .

(٢) معجم المؤلفين ١٦٥/٧ .

(٣) طبع بتحقيق الدكتور حنا جميل حداد .

(٤) البلغة ١٥٥ .

(٥) وهو المطبوع بسم معاني الحروف للرماني انظر مقال الدكتور حسين العايد على الشبكة العنكبوتية .

*الفصول في معرفة الأصول.

*متخير الفريد [١].

*معارف الأدب نحو ثلاث مجلدات، ويذكر أيضا معارف الأدب في النحو.

*مدرج البلاغة[٢].

* المقدمة، في النحو.

*النكت في القران[٣].

وفاته:

بعد حياة مليئة بالعلم والطلب، وتعدد الأسفار والرحلات، مع التصنيف في فنون شتى وجمع فنون العلم على الإطلاق، وقيامه بها أحسن قيام، وانتظامه في سلك علماء عصره أحسن انتظام: مواظبا على الدرس مفيدا للطلبة حتى ناداه

(١) ذكره في النكت ٢٠٥ .

(٢) ذكره البغدادي في خزانة الأدب ٢٣/١ .

(٣) طبع مرتين الأولى بتحقيق الدكتور عبد القادر طويل والثانية بتحقيق إبراهيم الحاج علي وطبعته مكتبة رشد .

اللطيف الخبير فأجاب ليلة الثلاثاء ثاني عشر من شعر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب بَرَّزْ [1].

(١) انظر: السياق، أنباه الرواة ٣٠٠/٢ ، ومعجم الأدباء ٩٠-٩٨ .

المبحث الثاني

تعريف التساؤلات ومنهج ابن فضال فيها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التساؤل

المطلب الثاني : منهج ابن فضال في التساؤلات التفسيرية

المبحث الثاني
تعريف التساؤلات ومنهج ابن فضال فيها

المطلب الأول
تعريف التساؤل

تعريف التساؤل:

اختلفت طرائق المفسرين في بيان معاني القران الكريم وتنوعت أنواعاً كثيرة والذي يهمنا ها هنا هو طريقة التساؤلات وأجوبتها التي سلكها بعض المفسرين من القدماء والمحدثين والتي تعد من أنجع الطرق لتقرير المعنى في ذهن السامع سواء عمد إليها المفسر لإزالة إشكال وحله أو دفع موهم تعارض خيل إليه أو منهج ارتضاه لبيان مراد الله من كلامه.

إذن فالتساؤل تفاعل وهو لا يكون إلا بين أثنين غالبا (وحقيقة صيغة التفاعل تفيد صدور معنى المادة المشتقة منها من الفاعل إلى المفعول وصدور مثله من المفعول إلى الفاعل[1].

والتساؤل يكون حقيقيا مثل أن يسأل أحد سؤالا فيجيبه المسؤول أو يسئله سؤالا اخر غير السؤال الذي وجهة إليه من أجل التطلع إلى العلم

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/٣٠ .

ويكون صوريا إذا كان على جهة السخرية والاستهزاء والتهكم [1]: وتساؤلات المفسرين في الغالب تكون حقيقية لحل الإشكالات التي تلوح للمفسر أو لتقرير المعنى للسامع على هذا السنن الذي ينبه الوسنان.

(١) راجع المصدر نفسه .

المطلب الثاني
منهج ابن فضال في التساؤلات التفسيرية

***منهج ابن فضال في التساؤلات التفسيرية في النكت القرآنية:**

سلك ابن فضال في النكت منهجا فريداً قل من سلكه قبله أو بعده فقد تبطن اللغة والتفسير والإعراب والقراءات وخبر مواطن الإشكال فتناولها على هدى وبصيرة بالسؤال والجواب والبيان والتحرير فأكسب النكت قيمة علمية عالية بين كتب المعاني والإعراب والتفسير فقدمها هدية سنية لقوام الملك أبا علي الحسن بن عبد الملك قال رحمة الله (وإني لما رأيت عنايتهُ بالقران –يعنى قوام الملك– ومعانيه ورغبته في دقائق إعرابه ومبانيه...).

وهذا وصف دقيق للكتاب الذي كان قد شرع في تأليفه ثم عدل عنه لاستطالته وانتهاء مدد الحياة قبل إتمامه.

فقال رحمه الله (ورأيت متى فعلت يعني المضي في تصنيفه –انتهت بي مدد الحياة قبل انتهائه وانحذفت أسنان البقاء قبل فنائه فرأيت أن أختصر ولا أكثر وأقتصر ولا أقصر وأعتمد على مد معجز في كتاب موجز مما تتذاكروا فيه العلماء وتستدعيه منهم الأكابر والرؤساء ورجوت أن يحسن لديه موقعه ويلطف عنده موضعه فإن أصبت فبحسن نيته ويمن نقيته وإن أخطأت فما لا يخلو منه بشر ولا يسلم منه مبرز مقتدر لاسيما لمن ارتجل من غير نسخة تقدمت أو

مسودة رسمت وما كان على هذه الصفة فالعذر فيه واضح ووجه الحق عنده لائح.

وقصدت في هذا الكتاب إلى أشد ما في القران إشكالا في معنى إعراب وربما ذكرت المعنى وحده وربما ذكرت الإعراب وحده وربما ذكرتهما جميعا وربما شرحت الكلمة الواحدة من جميع الآية على قدر ما أري الموضع محتملا[1].

(١) النكت١/ ٩ .

المبحث الثالث
التساؤلات التفسيرية
في النكت القرآنية

(من أول الفاتحة إلى نهاية الحزب الأول من سورة البقرة)

المبحث الثالث
التساؤلات التفسيرية
في النكت القرآنية

(من أول الفاتحة إلى نهاية الحزب الأول من سورة البقرة)

(١)

قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة:٢).

نص التساؤل:

أورد الإمام ابن فضال المجاشعي تساؤلاً في هذه الآية الكريمة وهي:

"لم خص الكتاب بأنه هدى للمتقين وهو هدى لجميع المكلفين؟".

جواب التساؤل:

أجاب الإمام ابن فضال عن هذا التساؤل فقال: "والجواب[1] أنه خص بذلك لأن المتقين هم الذين انتفعوا به فأخرج الكلام مخرج ما لا يعتد بكونه لغيرهم كما قال تعالى: {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا} (النازعات:٤٥)" وإن كان

(١) انظر: تفسير السمعاني (٤٢/١)..

عليه السلام منذر لكل مكلف.

وجواب آخر[١]: وهو أنه لما أراد الدلالة على المدح للمتقين باهتدائهم بهداه تعالى لم يجز أن يذكر معهم من لا يستحق المدح من أنه ليس في الإخبار أنه هدى للمتقين ما يدل على أنه ليس بهدى لغيرهم كما يقول الرجل "في هذا نفع لولدي" فليس فيه دليل على أنه لا يكون نفعًا لغيرهم"[٢].

ذكر ابن فضال تساؤلاً في قوله تعالى: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} وأجاب عنه بأن الله تعالى خص المتقين بالذكر لأنهم المنتفعون به وانجر به الجواب إلى جواب آخر وهو أنه لما أراد الله الدلالة على المدح لم يذكر معهم غيرهم.

وقد ذكر كثير من المفسرين هذا المعنى الذي ذكر ابن فضال وقيل التقدير: "هدى للمتقين والكافرين فحذف في لدلالة أحد الفريقين[٣] وخص المتقين بالذكر تشريفًا لهم[٤] وهذا الأسلوب من أساليب العرب في كلامها

---

(١) أسئلة الرازي في التفسير ص (٢١).

(٢) النكت في القرآن ص (٦٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٨/١).

(٤) البحر المحيط، لأبي حيان (١١٢/١).

مشـهور غير منكور ومنه قوله تعالى: {سَـرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} (النحل:٨١)" أي والبرد[١].

ولما كان المتقون هم المصـــدقين به المؤتمرين بأمره خصـــهم الله تعالى بالذكر دون غيرهم.

وهذا الذي دل عليه مفهوم الآية أعني مفهوم المخالفة، فإنه يدل على أن غير المتقين ليس هذا القرآن هدى لهم[٢]، وقد جاء في آيات كثيرة التصـــريح بهذا المفهوم من ذلك قوله تعالى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِـــفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} (فصـــلت:٤٤)، وغيرها من الآيات الدالة على هذا الهدى الذي اختص الله ســـبحانه المتقين، وهو هدى التوفيق، والتســـديد إلى دين الحق، والتمســـك به، وأما المفهوم العام الذي هو البيان والوضـــوح فإن كان مرادًا فمفهوم الآية محمول على موافقة الواقع، وليس في الآية دلالة على عدم اهتداء غير المتقين بهداه، فإن القرآن هدى للعالمين.

وقد وفق ابن فضـــال في جوابيه أيما توفيق وإن لم يتطرق لكثير من هذا

---

(١) جواهر القرآن ونتائج الصنعة للباقولي (٢٨/١)..

(٢) راجع أضواء البيان للشنقيطي (٥٥/١).

الكلام الذي ذيل به كلامه فأظهر مرماه وكشف مغزاه وأظهر رجحانه والله أعلم.

(٢)

قوله تعالى: {اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (البقرة:١٥).

نص التساؤل:

أورد الإمام ابن فضال المجاشعي تساؤلاً في هذه الآية الكريمة وهو:

"إذا كان معنى {اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ} يجازيهم بالعقوبة على استهزائهم فكيف يتصل به {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} وليس في العقوبة والجزاء في شيء؟".

جواب التساؤل:

أجاب الإمام ابن فضال عن هذا التساؤل فقال: "قيل: لما كانوا في الإملاء مغترين بالسلامة لا يشعرون بما يؤول إليه حالهم من العقوبة صار؛ كأنه استهزاء بهم؛ إذ ضرر الاستهزاء راجع إليهم، وعائد إليهم".

ووجه آخر: "وهو أن يكون المعنى: أن يعاقبهم من غير معاجلة"[1].

ذكر ابن فضال في قوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ} تساؤلاً وأجاب عنه بجوابين:

الأول: قيل كانوا قليلاً ملاء مغتربين بالسلامة.

والثاني: أن يعاقبهم من غير معالجة لهم: وذكر المفسرون معاني أخر غير ما ذكر ابن فضال قال أبو إسحاق الزجاج[2]: (فمعنى استهزاء الله بهم أن أظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة كما أظهروا من الإسلام خلاف ما أسروا.

ويجوز أن يكون استهزاؤه بهم أخذه إياهم من حيث لا يعلمون.

ويجوز والله أعلم ـ وهو الوجه المختار عند أهل اللغة أن يكون معنى {يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ} يجازيهم على هزءهم بالعذاب فسمي جزاء الذنب باسمه كما قال عز وجل: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} (الشورى:٤٠) فالثانية ليست سيئة في

---

(١) النكت في القرآن ص (٩٤).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٩٠/١)

الحقيقة، ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام"[1].

وحكى الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: كثيرًا من التأويلات عن طوائف من العلماء في هذا المعنى ولولا طولها وعدم فائدتها لنقلتها بنصها وفصها [2].

لكن من المفيد في هذا السياق ها هنا إيراد تعقيبه على تلك الأقوال لنفاسته وموافقته لمنهج السلف في هذال الباب، قال رحمه الله ـ (وأما الذين زعموا أن قول الله جل ثناؤه: {اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ}إنما هو على وجه الجواب وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة فنافون عن الله جل ثناؤه ما قد أثبته الله جل ثناؤه لنفسه وأَوجَبَهُ لها وسواء قال قائل: لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم.

ويقال لقائل ذلك أن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٨٦/١) والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٠٠/١) والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (١٦٤/١)والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٤/١).

(٢) جامع البيان (٣١٢/١) وما بعدها.

نرهم وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه غرقهم فصدقنا الله جل ثناؤه فيما أخبرنا به من ذلك ولم نفرق بين شيء منه فما برهانك على تفريقك؟ ما فرقت بينه بزعمك أنه قَدْ غرق، وخسف بمن قد أخبر أنه غرقه وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به ثم يعكس القول عليه في ذلك فلن يقول في أحدهما شيئًا إلا ألزم في الآخر مثله..." [1].

وهذا التعقيب غصة في حلوق المؤولة الذين ركبوا شططًا في هذا الباب وأخرجوا الكلام عن ظاهره دون موجب يوجب ذلك.

ومما ينبغي التنبيه له أن الله عز وجل لا يوصف بهذه الصفة وغيرها من نظيراتها على الإطلاق بل على جهة التقييد أي في مقابلة من يستهزئ.

وأهل السنة يثبتون هذه الصفة وغيرها لله عز وجل كما أثبتها لنفسه دون تأويل أو تعطيل[2] وقد اشتط ابن فضال بجوابيه عن مذهب السلف في هذه الصفة والله أعلم.

(٣)

---

(١) جامع البيان (٣١٧/١).

(٢) راجع شرح العقيدة الوسطية لابن عثيمين (٣٣١/١).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً} (البقرة:٢٦).

نص التساؤل:

أورد الإمام ابن فضال المجاشعي تساؤلاً في هذه الآية الكريمة وهو:

"أن يقال: قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً} إنه جواب ماذا؟".

جواب التساؤل:

أجاب الإمام ابن فضال عن هذا التساؤل فقال: "والجواب للعلماء فيه قولان:

أحدهما:

ما ذكر عن ابن عباس وابن مسعود[1] – رضي الله عنهما – أن الله تعالى لما ضرب المَثَلين قبل هذه للمنافقين يعني قوله: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً} (البقرة:١٧) وقوله: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء} (البقرة:١٩) قال المنافقون: (الله أعلى، وأجل من أن يضرب هذه الأمثال؛ فأنزل الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٤٢٣/١).

أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً} (البقرة:٢٦). إلى قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (البقرة:٢٧).

والمعنى: على أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بالصغير والكبير إذا كان في ضربه بالصغير من الحكمة ما في ضربه بالكبير.

ويروى عن الربيع بن أنس أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا شبعت وسمنت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلؤوا من الدنيا رِيا أخذهم الله عند ذلك ثم تلا: {حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ} (الأنعام:٤٤).

والقول الثاني:

يروى عن الحسن وقتادة وغيرهم من أهل العلم أنه لما ضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت تكلم قوم من المشركين في ذلك، وعابوا ذكره فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الاختيار التأويل الأول من قبل أنه متصل بذكر المثلين اللذين ضربهما للمنافقين في سورة البقرة فكان لذلك أولى من أن

يكون جوابًا لما ذكر في سورة غيرها إذا كان الذباب في سورة الحج وذكر العنكبوت في سورة العنكبوت.

والأظهر في هذا أن لا يكون جوابًا لما قيل في الذباب والعنكبوت لما فيهما من الاحتقار والضآلة فأخبر الله تعالى أنه لا عيب في ذلك(١).

ذكر ابن فضال المجاشعي أجوبة عن هذا التساؤل وهذه الأجوبة حكاها كثير من المفسرين(٢) دون نظر فيها بترجيح أو تعقيب بيد أن الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله لم تفته هذه المسائل دون ترجيح فقال: (وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله في هذه الآية وفي المعنى الذي أنزلت فيه مذهبًا غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس وذلك أن الله أخبر عباده أنه {لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَها} عقيب أمثال تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها فلأن يكون هذا القول أعني قوله: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ

---

(١) النكت في القرآن ص (١٠٥ – ١٠٧).

(٢) جامع البيان للطبري (٤٢٣/١) وتفسير ابن أبي حاتم (٦٨/١) والدر المنثور للسيوطي (٤١/١)..

مَثَلاً} جوابًا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب الله لهم من الأمثال في هذه السورة أحق وأولى من أن يكون ذلك جوابًا لنكيرهم ما ضرب الله لهم من الأمثال في غيرها من السور) [1].

ويرى بعض المفسرين أن هذه الأقوال كلها صالحة إذ اشتملت على نقض العهود وهو من صفة اليهود؛ لأن الخطاب بوفاء العهود إنما هو لبني إسرائيل وعلى الكافرين والذين في قلوبهم مرض

وهم المشركون والمنافقون وكلهم كانوا في إيذائه صلى الله عليه وسلم متوافقين وقد مضى من أول السورة إلى هنا ذكر ثلاث طوائف وكلهم من الذين كفروا"[2].

رحم الله ابن فضال كم كان دقيقًا في عباراته وإيجازه لما طال المفسرون في بسطه وتفصيله مما يدل على قوة مكنته ورسوخ قدمه وجودة اختياره وترجيحه وقد قيل اختيار المرء دليل على عقله إلا أن الذي يظهر أنه لا ضير في حمله على

---

(١) جامع البيان للطبري (٤٢٣/١) وتفسير ابن كثير (٩٢/١)، والسيوطي في الدر المنثور (١٤/١)..

(٢) ينظر: المصادر السابقة والبحر المحيط لابن حبان (٣٢٨/١ - ٣٢٩).

الجميع ويبقى قول ابن فضال والطبري أولى وأحق لمكانتهما وقوة حجتهما والله أعلم.

(٤)

قوله تعالى: { وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٩)

نص التساؤل:

أورد الإمام ابن فضال تساؤلاً في هذه الآية الكريمة وهو:

"كيف اتصل قوله تعالى: {وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٩) بقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء} (البقرة:٢٩)".

جواب التساؤل:

أجاب الإمام ابن فضال عن هذا التساؤل فقال:

"والجواب: أنه يتصل كما يتصل تفصيل الجملة بعضه ببعض لأنه لما وصف نفسه تعالى بما يدل على القدرة والاستيلاء وصل ذلك بوصفه بالعلم إذ بهما يصح الفعل على جهة الإحكام، والإتقان.

ووجه آخر: هو أنه دل على أنه عالم بجميع ما فعله، وبما يؤول إليه حاله"[١].

---

(١) النكت في القرآن ص (١١٥).

ذكر ابن فضال تساؤلاً في قوله تعالى: {وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٩) ثم أجاب بجوابين وهما من الدقة بمكان وقد تصفحت كثيرًا من كتب التفسير فلم أجد أحدًا التفت لمثل هذا التساؤل والإجابة عنه واضحة وهي أن الله تعالى خلق الخلق وخلق له ما في الأرض جميعًا ليقوى على عبادته وخلق الأرض والسماء ثم دحا الأرض واستوى إلى السماء فسواهن وأحكم كل ذلك بقدرته الفائقة فإنه لا يخفى على علمه المحيط بكل شيء من أعمال المنافقين والكافرين والملحدين ما يخفون وما يعلنون من أمورهم[١] ، وغير ذلك من الموجودات فعلمه سبحانه وتعالى محيط بكل شيء.

فالاتصال بين قوله {وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٩) بقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء} (البقرة:٢٩) واضح كما ذكر ابن فضال لا يحتاج إلى برهان فإنه لما أخبر تعالى أنه خلق الأرض وما فيها جميعًا على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقًا مستويًا محكمًا من غير تفاوت والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالمًا بما فعله كليًا وجزئيًا مجملاً ومفصلاً ناسب ختم الآية بصفة العلم"[٢].

والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) راجع جامع البيان للطبري (٤٦٥/١ – ٤٦٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٤١/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٠/١).

(٢) قطف الأزهار للسيوطي (٢٢٥/١ – ٢٢٦).

(٥)

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: ٢٩).

نص التساؤل:

أورد الإمام ابن فضال تساؤلاً في هذه الآية الكريمة وهو:

"هل يُوجِبُ " ثُمَّ " في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء} أن يكون خلق السماء بعد الأرض؟".

جواب التساؤل:

أجاب الإمام ابن فضال عن هذا التساؤل فقال:

"قيل لا يوجب من قبل أن قوله: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} إنما يدل على أنه جعلها سبعا بعد ما خلق الأرض، وقد كانت السماء مخلوقة كما قال أهل التفسير: "أنها كانت قبل دخانا"، وقال الأخفش[1]: "هو كما تقول للصانع: اعْمَلْ هَذَا الثَّوبَ وإِنَّمَا مَعَكَ غَزْلٌ" وقد اعتَرضَ قومٌ مِن الجُهَال في

(١) معاني القرآن للأخفش (٦٦/١).

هذا فقالوا[1]: إذا كان قوله: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (فصلت: ٩) {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ} (فصلت: ١٠) إلى قوله: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} (فصلت: ١١) إلى قوله: {طَائِعِينَ} (فصلت: ١١) موافقا لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} (البقرة: ٢٩) في أَنَّهُ يُوجبُ أنْ خلقَ السَّمَاءَ بَعدَ الأرضِ ثُم قال في موضع آخر: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} (النازعات: ٢٧) ثم قال {وَالأرضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}:، فأوجب هذا أن يكون خلق الأرض بعد السماء، فظنوا لجهلهم أن هذا متناقض، وهذا معناه بين؛ لأنه قال: دحاها أي بسطها، ولم يقل خلقها، وكانت قبل دحوها ربوة مجتمعة، ثم بسطها وأرساها بالجبال وأنبت فيها النبات، وأما علام يدل عليه قول ابن عباس ومجاهد في {بَعْدَ ذَلِكَ} فإنها تكون بمعنى (مع). كأنه قال، والأرض مع ذلك دحاها"[2].

تساءل ابن فضال في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ} ثم أجاب بجوابين:

---

(١) التفسير الكبير للرازي..

(٢) النكت في القرآن ص (١١٥ – ١١٦).

الأول: يوجد ثم في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء} واستطرد في الكلام وأشار إلى الخلاف في هذه المسألة التي اتسع فيه الخلاف والآيات الدالة على هذا المعنى واضحة لمن رزقه الله البصيرة.

وقد اختلف كلام المفسرين في هذه المسألة فذكر الإمام أبو جعفر الطبري عن الربيع بن أنس في قوله: {فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} يقول سوى خلقهن.

وأخرج عن محمد بن إسحاق قال: (كان أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة، ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلمًا، وجعل النور نهارًا مضيئًا مبصرًا، ثم سمك السماوات السبع من دخان يقال وَالله أعلم – من دخان الماء حتى استقللن ولم يُحْبَكُنَ وقد أغطش في السماء الدنيا ليلها، وأخرج ضُحاها، فجرى فيها الليل والنهار، وليس فيها شمس قمر ولا نجوم. ثم دحا الأرض فأرساها بالجبال، وقدر فيها الأقوات، وبث فيها ما أراد من الخلق، ففرَغ من الأرض وما قدر فيها من أقواتها في أربعة أيام. ثم استوى إلى السماء وهي دخان –كما قال– فحبكهن، وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها، وأوحى في كل سماء أمرها، فأكمل خلقهن في يومين، ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام. ثم استوى في اليوم السابع فوق سمواته، ثم قال للسموات والأرض: {ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} (فصلت:١١) لما أردت بكما، فاطمئنا عليه طوعًا أو كرهًا، قالتا{قَالَتَا

أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (فصلت: ١١)[١].

فقد أخبر ابن إسحاق أنّ الله تعالى ذكه استوى إلى السماء – بعد خلقه الأرض وما فيها – وهن سبع من دخان، فسواهن كما وَصف.

وإنما استشهدنا لقولنا الذي قلنا في ذلك بقول ابن إسحاق، لأنه أوضح بيانًا – عن خَبَرِ السموات، أنهن كُنّ سبعًا من دخان قبل استواء ربنا إليها لتسويتها – من غيره، وأحسنُ شرحًا لما أردنا الاستدلال به، من أن معنى السماء التي قال الله تعالى ذكره فيها: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء} بمعنى الجميع، على ما وصفنا. وأنه إنما قال جل ثناؤه: " فَسَوَّاهُنَّ "، إذ كانت السماء بمعنى الجميع، على ما بينا".

فإن قال لنا قائل: فما صفة " فَسَوَّاهُنَّ "، إذ كن قد خُلِقن سبعًا قبل تسويته إياهن؟ وما وجه ذِكْر خَلْقهن بعد ذِكْر خَلْق الأرض؟ لأنها خلقت قبلها، أم المعنى غير ذلك؟

قيل: قد ذكرنا ذلك في الخبر الذي رويناه عن ابن إسحاق، ثم استرسل في

---

(١) جامع البيان (٤٦/ ٤٦١.

ذكر أقوال السلف في هذا المعنى.

وأخرج عن مجاهد القول بخلق الأرض قبل[1] السماء والذي يظهر من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء وكذلك آية حم السجدة وهي: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ} (السجدة:٩ – ١١).

وكذلك آية النازعات ذكرت الأرض بعد السماء.

والذي يظهر في المسألة أن الله تعالى خلق الأرض ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسوى خلقها ثم دحا الأرض وبهذا ينتظم الجمع بين الآيات في هذا المعنى والله اعلم.

وما ذهب إليه قتادة والسدي ومقاتل وغيرهم من أن خلق السموات متقدم على خلق الأرض محتجين بقوله تعالى: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} (النازعات:٣٠) فليس بحجة لهم؛ لأن المذكور في هذه الآية الكريمة هو الدحو {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} (النازعات:٣٠) أي بعد خلق السماء ومعلوم؛ أن الدحو

---

(١) راجع جامع البيان (٤٦١/١) الجامع لأحكام القرآن (٣٨٣/١)، البحر المحيط (٣٦٩/١).

غير الخلق فالمتأخر عن خلق السموات هو الدحو، وأما الخلق فقد أخبر ابن إسحاق أن الله تعالى ذكره استوى إلى السماء بعد خلقه الأرض، وما فيها وهن سبع من دخان فسواهن كما وصف).

وعلق الإمام ابن جرير على كلام ابن إسحاق بقوله: (وإنما استشهدنا لقولنا الذي قلنا في ذلك بقول ابن إسحاق لأنه أوضح بيانًا عن خبر السموات أنهن كلها سبعًا من دخان قبل استواء ربنا إليها لتسويتها معنى السماء التي قال الله تعالى ذكره فيها {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء}[1].

والقول الذي يظهر رجحانه هو أن الله تعالى خلق الأرض قبل السموات ثم استوى إلى السماء وكان دخان فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض فالدحو هو الذي كان بعد خلق السموات وتسويتها لا خلق الأرض والله أعلم.

(١) المصدر نفسه (٤٦١/١).

(٦)

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة: ٣٠).

نص التساؤل:

"ما المراد بالخليفة؟".

جواب التساؤل:

أجاب الإمام ابن فضال عن هذا التساؤل فقال: "في هذا جوابان":

أحدهما:

أن المراد به آدم وذريته جُعلوا خلائف من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض.

والقول الثاني:

أن المراد بالخليفة أممٌ يخلف بعضهم بعضاً، كلما هلكت أمة خلفتها أخرى.

ويروى عن ابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهما – أن آدم – عليه السلام –، يكون خليفة لله تعالي؛ يحكم بالحق في أرضه، إلا أن الله تعالى أعلم الملائكة أن يكون من ذريته من يسفك الدماء ويفسد في الأرض"[1].

(١) النكت في القرآن ص (١٢٣).

تساءل الإمام ابن فضال[١] **في قوله:** {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:٣٠) وأجاب بثلاثة أجوبة:

الأول: أن المراد بالخليفة آدم وذريته.

الثاني: أن المراد بالخليفة أُممٌ يخلف بعضهم بعضًا.

والثالث: أن المراد بالخليفة آدم عليه السلام – ويكون خليفة الله تعالى يحكم بالحق في أرضه.

وهذه الأجوبة التي ذكرها ابن فضال هي التي يدندن حولها المفسرون وأشهرها عندهم.

الثالث: الذي يعزى إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل ذكره ابن كثير[٢] وقال وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٢٦/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٢٦/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن(٣٨٣/١)

وقال: وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير.

حكاه الرازي في تفسيره وغيره(١).

والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا إذا لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء} (البقرة:٣٠) فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك.

وقوله من هذا الجنس يعني من ذرية آدم الذي يخلقونه وهذا القول يتمشى مع قوله تعالى: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ} (النمل:٦٢) وقوله: {وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} (الزخرف:٦)

وهذا القول هو الذي يظهر رجحانه لأن الإفساد والسفك وقع في ذريته وذلك أن الملائكة إذ قال لها ربها {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:٣٠) لم تخف الإفساد وسفك الدماء في جوابها ربها إلى خليفته في أرضه بل قالت: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء} (البقرة:٣٠) وغير منكر أن يكون ربها أعلمها أنه يكون لخليفته ذرية يكون منهم الإفساد دون سفك الدماء فقالت يا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والله تعالى أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٨٠/١ – ١٨١) الجامع لأحكام القرآن الكريم(٣٨٣/١)..

(٧)

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} (البقرة: ٣٠).

نص التساؤل:

وهو: "من أين علمت الملائكة أنهم يفسدون في الأرض؟".

في هذا جوابان:

أحدهما:

أن الله تعالى أعلمهم أنه يكون من ذرية هذا الخليفة من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فاقتضى ذلك أن سألوا هذا السؤال وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.

والجوب الثاني:

أن الجن كانوا في الأرض فكفروا وأفسدوا وسفكوا الدماء فلما أخبرهم الله تعالى أنه جاعل في الأرض خليفة أحبوا أن يعلموا هل سبيله في ذلك سبيل من كان فيها من الجن؟

وإلى القول الأول يذهب أهل النظر، فإن قيل: فليس في القرآن إخبار بذلك قيل: هو محذوف، اكتفى منه بدلالة الكلام؛ إذ كانت الملائكة لا تعلم الغيب.

وقيل في قوله: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: ٣٠) إنه ناب عن الجواب الذي هو (نعم). وقيل معناه: إني أعلم من المصلحة والتدبير مالا تعلمون. وقيل معناه: إني أعلم مالا تعلمون من أن ذلك الخليفة يكون من ذريته أهل طاعةٍ وولايةٍ، وفيهم الأنبياء.

وقيل: إني أعلم مالا تعلمون من إضمار إبليس المعصية وانطوائه عليها[1].

ذكر ابن فضال تساؤلاً في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:٣٠).

وأجاب بجوابين:

أحدهما:

أن الله تعالى أعلمهم أنه يكون من ذرية هذا الخليفة من يفسد في الأرض ويسفك الدماء.

والثاني:

---

(١) النكت في القرآن ص (١٢٥ – ١٢٦).

أن الجن كانوا في الأرض، فكفروا وأفسدوا وسفكوا الدماء فلما أخبرهم الله تعالى أنه جاعل في الأرض خليفة، أحبوا أن يعلموا هل سبيله في ذلك سبيل من كان فيها من الجن.

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في سؤال الملائكة ربهم أكان على علم ويقين أم حدس وتخمين وتضاربت أقوالهم واختلفت الروايات عنهم وقد استوعبها أبو جعفر الطبري أو كاد ولاحظ تضارب الروايات في الدلالة على المراد منها ما رواه بسنده عن الربيع ابن أنس في قوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:٣٠) الآية.

قال إن الله خلق الملائكة؛ يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة قال: (فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض وغيرها من الروايات وقد علمنا قطعًا أن الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول وذلك عام في جميع الملائكة؛ لأن قوله: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ} (الأنبياء: س) خرج على المدح لهم[1].

والجواب الأول الذي ذكره ابن فضال وعزاه إلى أهل النظر هو المعول عليه وإن كان الثاني محتملاً والله أعلم.

(٨)

(١) انظر: جامع البيان (٤٧٨/١) والدر المنثور (٧٧/١) والجامع لأحكام القرآن (٤٠٩/١).

قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (البقرة: ٣٤).

نص التساؤل:

"أكان إبليس من الملائكة حتى استثني منهم أم لا؟".

"والجواب:

أن العلماء اختلفوا في ذلك: فذهب قوم: إلى أنه لم يكن من الملائكة وجعل الاستثناء ها هنا منقطعًا كقوله تعالى: {مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ} (النساء:١٥٧) وأنشد سيبويه: "

وَالْحَرْبُ لاَ يَبْقَى لِجَا حِمِهَا التَّخَيُّلُ وَالمِرَاحُ

إلاَّ الفَتَى الصَّبَّار فِي دَاتِ والفَرسُ

واحتج على صحة هذا القول بقوله تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم:٦) فنفى المَعصية عَنْهُمْ نَفيًا عامًا واحتَجَّ أَيضًا بِقَولِه تَعَالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} (الكهف:٥٠) ومَتَى أطلق لفظ "الجن" لم يجز أن يعنى به إلا الجنس المعروف واحتج أيضًا بأن إبليس له نسل وذرية.

---

(١) الكتاب (٣٦٦/١) والقائل الحارث بن عياد البكري من شعراء الجاهلية، انظر خزانة الأدب (٤٧/١).

قال الحسن: إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس.

واحتج أيضًا بأن إبليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح، وقال الحسن: خلقوا من النور لا يتناسلون، ولا يأكلون، ولا يشربون، وقال تعالى في إبليس وولده: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} (الكهف:٥٠). واحتج أيضًا بقوله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} (فاطر:١) فعمها بالوصف بالرسالة ولا يجوز على رسل الله أن تكفر ولا أن تفسق كما لا يجوز على رسله من البشر من قبل أنهم حجة الله على خلقه فالملائكة بهذه المنزلة لو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب فكان يكون لا سبيل إلى الفرق بين الصدق والكذب فيما أخبروا به عن الله.

وذهب الجمهور من العلماء إلى أنه من الملائكة واحتجوا بأنه لو كان من غير الملائكة لما كان ملومًا في ترك السجود؛ لأن الأمر إنما تناول الملائكة دون غيرهم.

قال: وأما ما احتج به منه أنهم: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم:٦) وانَّهُ نفى نفيًا عامًا فإن العموم قد يختص من الشيء نحو قوله: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ} (النمل:٢٣) وقد علم أن المعنى وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك ولم يرد جميع الأشياء.

قال: وأما احتجاجه بقوله تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} (الكهف:٥٠) فإن الجن جنس من الملائكة، وقيل: يقع الجن على جميع الملائكة لاجتنانها عن العيون.

قال أعشى قيس بن ثعلبة:

لَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدًا أَوْ لَكَانَ سُلَيْمَانُ الْبَرِيءَّ مِنَ

بَرَاهُ إِلَهِي وَاصْطَفَاهُ عِبَادَهُ وَمَلَّكَهُ مَا بَيْنَ ترنا إِلَى مِصْرِ

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلائِكِ قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلا أَجْرِ

وقال تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} (الصافات:١٥٨) فالجنة ها هنا الملائكة بلا خلاف لأن قريشًا قالت الملائكة بنات الله فرد الله عليهم.

وأما قوله: إن لإبليس نسلاً وذرية والملائكة ليست كذلك فلا دليل فيه؛ لأن الله تعالى لما أهبطه إلى الأرض، ولعنه تغيرت حاله عن حال الملائكة، فإذا كان كذلك لم تصح الدلالة بذلك.

وأما قوله: إنه مخلوق من النار، والملائكة خلقوا من النور والنار والنور سواء.

وقوله: الملائكة لا يَطعمون، ولا يَشربون، والجن يُطعمون، ويَشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على أنهم لا يُطعمونَ، ولا يَشربونَ أنشد أبو القاسم

الزجاجي قال: أنشدنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم:

وَنارٍ قَد حَضَأْتُ بُعَيدَوَهْنٍ بَدارٍ ما أُرِيدُ بها مُقَاماً

سِوَى تَرحِيل راحلةٍ وَعَينٍ أُكَالِؤها مَخَافَةَ أن تَنَامَا

أتَوا نَارِي فقلتُ: مَنُونَ أنتُم فَقَالوا: الجنُّ، قُلتُ: عِمو

فَقُلتُ: إلى الطَعامِ، فَقَالَ زعيمُ: نَحسُدُ الإنَّسَ الطعَامَا

لقد فُضِّلتُمُ بِالأَكْلِ فِينَا وَلَكْنْ ذَاكَ يُعقبكُم سَقَامَا

فهذا يدل على أنهم لا يأكلون، ولا يشربون؛ لأنهم روحانيون، وجاء في بعض الأخبار النهي عن التمسح بالعظم والروث قال؛ لأن ذلك طعام الجن؛ وطعام دوابهم فإن صح ذلك فلأنهم لما سكنوا الأرض خالفوا حكم الملائكة؛ لأنهم خرجوا من جملتهم بمعصية إبليس، وقد قيل في تأويل الحديث إنهم يتشممون ذلك، ولا يأكلونه والقول الأول قول الحسن[1]، والثاني قول الجمهور من العلماء وروي عن ابن عمر القولان جميعًا.

وروي عن ابن مسعود قال كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي إبليس وكان صغيرًا مع الملائكة فتعبد معهما بالأمر بالسجود فلذلك قال الله تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} (الكهف:٥٠).

(١) نكت القرآن ص (١٤١ – ١٤٦).

ذكر ابن فضال رحمه الله تساؤلاً في الآية المذكورة مَفَادُهُ هل إبليس من الملائكة أو من الجن؟

وأجاب بأن العلماء اختلفوا في ذلك: فذهب قوم أنه من الملائكة وهم الجمهور من السلف والخلف وحجتهم الآية المذكورة آنفًا ولو لم يكن من الملائكة لما وجه إليه الأمر بالسجود وقوله تعالى: {إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} (الأعراف:١٢).

فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس في من أمر من الملائكة بالسجود؛ لآدم ثم استثناه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم(١).

واستدل القائلون بأنه من الجن بقوله تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم:٦).

ويتخرج على أنه عمل عملهم فكان منهم في هذا أو على أن الملائكة قد تُسمى جِنّا لاستتارها(٢).

وبقوله تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} (الكهف:٥٠).

---

(١) جامع البيان للطبري (٥٣٥/١) وقد ذكر روايات كثيرة في هذه المسألة فتنظر هناك.

(٢) المحرر الوجيز (٣٦٠/١).

وأجاب القائلون بأنه لا يمنع أن يخرج إبليس من جملة الملائكة لما سبق في علم الله بِشَقائِهِ عدلا مِنْهُ {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}[1] (الأنبياء:٢٣).

وبقوله: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} (فاطر:١).

فلا يجوز على الملائكة الكفر ولا الفسق كما لا يجوز على رسله من البشر[2].

وقد استطاع ابن فضال أن يلملم كل ما قيل في هذه المسألة بعبارة وجيزة دالة على مقدرة عالية وبراعة فائقة والذي يصطفى من هذه الأقوال ويظهر رجحانه قول الجمهور لقوة دليله وسطوع برهانه ووضوح حججه والله أعلم.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣٩/١).

(٢) البحر المحيط لابن حيان (٤١٩/١).

(٩)

قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (البقرة: ٣٤).

نص التساؤل:

أورد الإمام ابن فضال تساؤلاً في هذه الآية وهو: ويسأل عن سجود الملائكة لآدم على أي وجه كان:

وأجاب بقوله:

وفيه جوابان:

أحدهما: أنه كان على التحية لآدم والتكرمة، والعبادة لله تعالى لا لآدم وهو قول قتادة:

والثاني: أنه كان على معنى القبلة، كما أمروا بالسجود إلى القبلة، والوجه الأول أبين.

ذكر ابن فضال تساؤلاً عن سجود الملائكة لآدم عليه السلام وأجاب عنه بجوابين:

أحدهما: أن سجود الملائكة لآدمة على التحية والتكرمة لآدم والعبادة لله تعالى لا لآدم.

والثاني: أنه كان على معنى القبلة.

وذكر المفسرون أقوالاً أخر في هذا المعنى.

قيل معنى: {اسْجُدُواْ لآدَمَ} أسجدوا مستقبلين وجه آدم، وقيل عَيَّروا آدم واستَسغَرُوه ولم يعرفوا خصائل الصنع به فأمروا بالسجود له تكريمًا(١).

ويحتمل أن يكون الله تعالى أمرهم بالسجود له معاقبة لهم على قولهم: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء} (البقرة:٣٠).

وقال ابن عباس(٢)، تعبدهم الله بالسجود لآدم والعبادة في ذلك لله.

وروي هذا المعنى عن كثير من السلف أخرج الإمام الطبري بسنده عن قتادة: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ} فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم أن أسجد لَهُ مَلاَئكتهُ وهذا هو الذي أومأ ابن فضال إلى ترجيحه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣٥/١).

(٢) المصدر نفسه (٤٣٦/١).

وصرح الإمام أبو بكر بن العربي[١] في أحكام القرآن بقوله: اتفقت الأمة على أن السجود لآدم لم يكن سجود عبادة وإنما كان على أحد وجهين: إما سلام الأعاجم بالتكفي، والانحناء، والتعظيم، وإما صنعه قبلة كالسجود للكعبة، وبيت المقدس، وهو الأقوى لقوله في الآية الأخرى {فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ} (الحجر:٢٩) ولم يكن على معنى التعظيم وإنما صدر على وجه الإلزام للعبادة واتخاذه قبلة وقد نسخ الله تعالى جميع ذلك في هذه الملة[٢].

رحم الله الإمام ابن العربي لقد أبعد النجعة في هذا المعنى وأبعد اللفظ عن مدلوله فالأصل في السجود أن يكون على الهيئة المعروفة في العرف والشرع، وهذا ظاهر الآية، وغيرها من الآيات ولو أراد الله غير هذا المعنى لأرشد إليه، وعليه فَإن ترجيح ابن فضال للجواب الأول من جوابيه لا غبار عليه والله أعلم.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٦٠/١) والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٩/١)..

(٢) أحكام القرآن لابن العربي المالكي (١٦/١).

(١٠)

قوله تعالى: {وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ} (البقرة: ٣٤).

نص التساؤل:

قال ابن فضال: ويسأل عن قوله: {وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ} ؟ ما معنى "كان".

الجواب:

أن بعضهم قال: المعنى وصار من الكافرين.

وقيل: كان في علم الله من الكافرين.

وقال بعضهم: كان كافرًا في الأصل(١).

ذكر ابن فضال سؤالاً في قوله تعالى: {وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

وأجاب عنه بثلاثة أجوبة وهي: أنَّ كان بِمعنى صار وقيل كان على بابها وأنَه كان في علم الله أنه سيكفر.

وقيل: كان كافرًا يبطن الكفر ويتظاهر بالطاعة.

---

(١) نكت القرآن (١٣٣/١).

وهذه الأجوبة هي التي يدندن حولها المفسرون[١] والذي يظهر أن كان تحتمل معنيين.

الأول:

أنها بمعنى صار وشاهد هذا المعنى قوله تعالى {فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} (هود:٤٣) أي صارَ وقَول الشاعر[٢]:

بِتَيْهَاءَ قَفْرٍ وَالْمَـــــطِيّ كَأَنَّهَا قَطَا الحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاخا بُيُوْضُـهَا[٣]

ومعناه: قد كانت أي صارت.

والمعنى الثاني:

أنه كان في علم الله أنه سيكفر كما جاء في البخاري ومسلم: " عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُوْدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٨٢/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(٣) البيت لابن أحمر، انظر الحيوان للجاحظ (٥٧٥/٥) والخزانة (٢٠١/٩).

عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ.

فَوَالله الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)"[1].

وهذان القولان هما اللذان يرجحان في معنى "كان".

وأما الثالث: فبعيد[2] والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٢٠٨)، وصحيح مسلم رقم (٢٦٤٣).

(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن (٤٤٢/١)، والبحر المحيط (٤٢١/١)، والتحرير والتنوير (٤٢٦/١ – ٤٢٧).

(١١)

قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: ٤١).

نص التساؤل:

قال ابن فضال يسأل ما معنى قوله: {وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} [(١)]؟.

والجواب:

أن المعنى ولا تكونوا أوَّل كافرٍ بالقرآن من أهل الكتاب، وقد كانت قريش كفرت به بمكة.

وقيل: المعنى، ولا تكونوا السابقين إلى الكفر فيتبعكم الناس، أي: لا تكونوا أئمةٌ في الكفر به.

وقيل: المعنى، ولا تكونوا أوَّل جاحدٍ أن صفة النَّبي في كتابكم، والهاء في {بِهِ} على هذا القول تعود على النبي – عليه السلام – وفي القول الأول تعود على القرآن.

وقيل: المعنى، ولا تكونوا أوَّل كافر بما معكم من كتابكم؛ لأنكم إذا جحدتم ما فيه من صفة النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد كفرتم به.

---

(١) انظر: قول ابن جريج في جامع البيان للطبري (٥٦٣/١).

والأول: قول أبي العالية، والقول الثاني: قول ابن جريح، والقول الثالث: حكاه الزجاج[1].

ذكر الإمام ابن فضال تساؤلاً في الآية المذكورة وأجاب بعدة أجوبة صدرها بصيغة التمريض سوى القول الأول منها فقال:

والجواب أن المعنى ولا تكونوا أول كافر بالقرآن من أهل الكتاب وسردها كما سبق آنفًا وهذه المعاني التي ساقها ابن فضال هي التي رددها كثير من المفسرين ومثار الخلاف في هذه المسألة، وهي عود الضمير في قوله: {بِهِ} علام يعود وظاهر الآية يبعد القولين الأخيرين الذين ذكرهما بن فضال وغيره من المفسرين؛ لأن الله تعالى أمَرَ المخاطبين بهذه الآية في أولها بالإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى ذكره: {وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ} (البقرة:٤١) ومعقول أن الذي أنزله الله في عصر محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن؛ لأن محمدًا صلوات الله وسلامه عليه مرسل؛ لا تنزيل منزل، والمنزل هو الكتاب، ثم نهاهم أن يكونوا أول من يكفروا بالذي أمرهم بالإيمان به في أول الآية فذلك هو الظاهر المفهوم ولم يجر لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ذكر فيعاد عليه بذكره مكنيا في قوله: {وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة:٤٠).

وإن كان غير محال في الكلام أن يذكر مكني اسم لم يجر له ذكر ظاهر في الكلام.

---

(١) نكت القرآن (١٣٧/١)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (١١٣/١).

وكذلك لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في {بِهِ} على ما التي في قوله: {لِّمَا مَعَكُمْ} لأن ذلك وإن كان محتملاً ظاهر الكلام فإنه بعيد مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل لما وصفنا قبل من أن الأمر بالإيمان به في أول الآية هو القرآن فكذلك الواجب أن يكون النهي عن الكفر به في آخرها هو القرآن فأما أن المأمور بالإيمان به غير المنهي عن الكفر به في كلام واحد وآية واحدة فذلك غير الأشهر الأظهر في الكلام هنا مع بعد معناه في التأويل"[1].

ويرشح عود الضمير في {بِهِ} على القرآن السياق؛ لأن الله تعالى أخذ عليهم العهود ومنها الإيمان بهذا المنزل الذي هو القرآن، وعدم الكفر به؛ ولأن القرآن الكريم هو المتحدث عنه بالقصد في هذه الآية، وهو أقر مذكور فوجب عود الضمير إليه جريًا على القاعدة العربية في عود الضمير على أقرب مذكور؛ إذ كان هو المتحدث عنه والله أعلم.

(١) جامع البيان للطبري (٦٠٣/١) والهداية لمكي (٢٤٩/١ – ٢٥٠).

(١٢)

قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} (البقرة: ٤٥).

في الآيـــة تساؤلان:

التساؤل الأول:

نص التساؤل:

قال ابن فضال: ومما يسأل عنه أن يقال: ما وجه الاستعانة بالصلاة؟

والجواب:

أنه لما كن في الصلاة تلاوة القرآن، وفيها الدعاء والخضوع لله عز وجل كان ذلك معونة على ما تُنَازِعُ إليه النفس من حب الرياسة، والأنفة من الانقياد إلى الطاعة، وهذا الخطاب، وإن كان؛ لأهل الكتاب، فهو أدب لجميع العباد(١).

أجاب ابن فضال عن هذا التساؤل بقوله: (أنه لما كان في الصلاة تلاوة إلخ.

وهذا المعنى هو الذي درج عليه كثير من المفسرين وذكروا أن الآية خطاب لأهل الكتاب أو يدخلون فيه دخولاً أوليًا وقد كانت لهم رياسة عند أتباعهم فقيل لهم استعينوا على ما يذهب عنكم شهوة الرئاسة بالصلاة؛ لأن الصلاة يتلى فيها

---

(١) نكت القرآن ص (١٤١/١)..

ما يرغب فيما عند الله، ويزهد في جميع أمر الدنيا[١] ، وخص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات تنويهًا بذكرها[٢] ، وبيانًا لعلو شأنها، "وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَلاَة». "[٣].

وقال الإمام الطبري: "فإن قال قائل قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد، والمحافظة على الطاعة فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله، وترك معاصيه والتعري عن الرياسة وترك الدنيا؟

قيل: إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله جل ثناؤه والداعية آياته إلى رفض الدنيا وهجر نعيمها المسلية النفوس عن زينتها وغرورها المذكرة للآخرة وما أعد الله فيها؛ لأهلها، فهي الاعتبار بها المعونة لأهل الطاعة لله جل جلاله على الجد فيها"[٤].

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (١١٥/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦٦/٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٣٢٩٩٩) وأبو داود في سننه (١٣١٩) وإسناده ضعيف. انظر تعليق أحمد شاكر على مسند الإمام أحمد (٥٧/١٠ – ٦٥٤٨).

(٤) جامع البيان (٦١٨/١)، وتفسير ابن كثير (٣٨١/١).

وهذا المعنى هو الأليق بمعانيها وعلو منزلتها لذا سن النبي – عليه الصلاة والسلام – الفزع إليها عند كل ما يقلق النفوس أو ينزل بها.

ويخيل إلي أن الذي ذكره ابن فضال استقاه من إمام المفسرين بتصرف لطيف وتعبير منيف والله أعلم.

(١٣)

قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} (البقرة:٤٥).

نص التساؤل:

تساءل الإمام ابن فضال عن معنى الاستعانة بالصبر في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} (البقرة:٤٥).

فقال: ما معنى الاستعانة بالصبر؟

وأجاب بقوله:

(قيل: المعنى استعينوا بالاستشعار للصبر).

وقيل: (استعينوا بالصبر) أي بالصوم[١] وذكر المفسرون معاني أخر لم يعرج عليها ابن فضال.

قال الإمام مكي: (فقيل اصبروا على ما تكرهه نفوسكم من الطاعة والعمل)[٢].

---

(١) جامع البيان (٦١٧/١).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢٥٣/١ – ٢٥٤).

وفي رواية أبي صالح[1] **عن ابن عباس:** معناه بالصبر على أداء الفرائض والصلاة على تمحيص الذنوب).

وقال مجاهد: الصبر الصوم.

وقال مقاتل: معناه اصبروا أنفسكم عن المعاصي أي احبسوها.

وقال الإمام أبو جعفر الطبري – رحمه الله [2]–: "يُعنَى بقوله تعالى ذكره استعينوا بالصبر على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم من طاعتي واتباع أمري وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري واتباع رسولي محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر والصلاة".

والذي يظهر والله أعلم – أنه لا تعارض بين هذه المعاني فكلها محتملة، والله تعالى أعلم.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) جامع البيان (٦١٨/١) وانظر تفسير ابن كثير (٣٨١/١)..

(١٤)

قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} (البقرة: ٤٥).

نص التساؤل:

قال ابن فضال: ويسأل عن معنى كبيرة هاهنا؟

والجواب:

أن الحسن والضحاك قالا: (ثقيلة).

والأصل في ذلك: أن ما يكبر يثقل على الإنسان حمله كالأجسام الجافية[١].

تساءل ابن فضال عن معنى {لَكَبِيرَةٌ} وأجاب بأن الحسن والضحاك قالا: (ثقيلة) وعلى هذا المعنى درج المفسرون[٢]، قال أبو حيان: في معنى قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} (الكبيرة من كبر يكبر، ويكون في الجرم، والقدر، ويقال كبر على كذا أي شق) [٣].

وقال ابن كثير: (فقوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} أي مشقة ثقيلة {إِلاَّ عَلَى

---

(١) نكت القرآن (١٤٢/١) .

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢١/١) والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٨٩/١) .

(٣) البحر المحيط (٤٩٦/١).

الْخَاشِعِينَ} قال ابن طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بما أنزل الله.

وقال مجاهد: المؤمنين حقًا.

وقال أبو العالية: {إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} الخائفين.

وقال مقاتل بن حيان: {إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} يعين به المتواضعين.

وقال الضحاك: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} قال إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعديه[1].

وأنت ترى أن كلمة المفسرين متفقة على هذا المعنى المأخوذ من دلالة المنطوق والله أعلم.

وخص الخاشعين بعدم كبرها عليهم، لأنهم وطئوا أنفسهم بالمداومة عليها حتى أصبحوا بمنزلة من لا يشق عليهم فعلها والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٨٣/١).

(١٥)

قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} (البقرة:٤٥).

نص التساؤل:

قال ابن فضال: ويسأل عن الهاء في قوله تعالى: {وَإِنَّهَا} علام تعود؟

والجواب:

أنها تعود على الإجابة للنبي – صلى الله عليه وسلم – فهذا قول، وإن لم يجر للإجابة ذكر؛ لأنَّ الحال تدل عليها.

وقال قوم: تعود على الاستعانة؛ لأن استعينوا تدل على الاستعانة [١].

ومثله قول الشاعر:

إذَا نُهي السَّفِينة جَرَى إِلَيْهِ وَخَالفَ والسفيهُ إِلَى خِلاف

أي: جرى إلى السفه، ودل السفيه على السفه، ومثل الأول قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر:١). يعني القرآن ولم يجر له ذكر.

وقيل: تعود على الصلاة، وهو القول المختار، وجاز أن يرد عليها لقربها منه.

---

(١) نكت القرآن (١٤٢/١).

وقيل: يعود إليهما جميعاً، وإن كان الضمير واحداً وهما اثنان، كما قال الله تعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ} (التوبة: ٦٢) فرد الضمير إلى واحد.

وقال الشاعر[١]:

أمَّا الوَسَامَةُ أو حُسْنُ النَّسَاءِ فقدْ أُوتِيتَ منهُ أوَانَ الْعَقلُ مُحَتنكُ

وهذا كثير في كلامهم[٢].

قد كثر الخلاف في عود الضمير ها هنا علام يعود وذكر ابن فضال جمهرة أقوال المعربين.

في هذا الصدد ورجح عوده (على الصلاة – وهذا هو الذي يفهم من قول أبي البقاء العكبري حيث قال: "الضمير للصلاة وقيل للاستعانة؛ لأن استعينوا يدل عليها، وقيل القبلة لدلالة الصلاة عليها، وكان التحول إلى الكعبة شديدًا على اليهودي"[٣].

ويلاحظ أن أبا البقاء ذكر أن الضمير يعود على الصلاة بصيغة الجزم ثم

---

(١) البيت لعبد الرحمن بن حسان انظر: عزوه في النكت (١٤٣/١) هامش (٤).

(٢) نكت القرآن (١٤٢/١).

(٣) التبيان في إعراب القرآن (٥٩/١) .

حكى باقي الأقوال بصيغة تدل على ضعفها وذكر بعض المعربين (أنه يعود على العظة دل عليها المعنى.

وقيل: (لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها) [1].

ولا سبيل لعود الضمير على كل المذكورات التي أمروا بها أو نهوا عنها كما يتراءى بعد احتمال عوده على غَيْرِ الصلاة؛ لأن الصلاة هي أقرب مذكور، ومن القواعد السائرة في علوم العربية أن الضمير يعود على أقرب مذكور؛ إذا كان هو المتَحَدَّثُ عنه ولا يخرج عن القاعدة إلا لموجب يوجب ذلك والله أعلم.

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتخب (٢٤٧/١).

(١٦)

قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} (البقرة:٤٥).

نص التساؤل:

قال ابن فضال: ويقال لمن هذا الخطاب؟

والجواب:

أنه لأهل الكتاب على هذا أكثر أهل العلم.

وقال بعضهم: هو لجميع المسلمين(١).

تساءل الإمام ابن فضال عن الخطاب في الآية لمن هو:

وأجاب: بأنه لأهل الكتاب وأن أكثر أهل العلم على هذا وحكى عن بعضهم أنه لجميع المسلمين وعلى القول بأن المراد بالمخاطبين أهل الكتاب ذهب ابن جرير الطبري فقال: (فمعنى الآية : واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله عز وجل، وكفها عن معاصي الله، وإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضا الله العظيمة إقامتها إلا على المتواضعين

(١) نكت القرآن (١٤٢/١).

لله المستكنين بطاعته المتذللين من مخافته.

وقيل: بأن الآية وإن كانت خطابًا لبني إسرائيل فإنهم ليسوا مخصوصين بها، والظاهر أن الآية وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم ليسوا مخصوصين بها(١).

وقال ابن كثير: (والظاهر وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص وإنما هي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم(٢).

واعترض بعض المفسرين على القول بالعموم؛ لأن العطف يؤذن بالاختلاف(٣).

والذي يظهر والله أعلم أنه لا بأس بأن يدخل في الخطاب بنو إسرائيل دخوليًا أوليًا ويدخل غيرهم ثانيًا لعموم الآية والله أعلم.

---

(١) جامع البيان (٦٢٣/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٨٤/١).

(٣) راجع التحرير والتنوير (٤٧٧/١).

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبينا وقدوتنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه وبعد:

فقد عَنَّ لي أثناء كتابة هذا البحث الوجيز في تساؤلات تفسير الكتاب العزيز بعض المسائل التي تصلح أن تزبر في هذه الخاتمة وهي:

١ – أن الإمام ابن فضال المجاشعي قيرواني الأصل والمولد خلافًا لمن زعم أنه ولد بـ (هجر) وهو قول لا يقوم على ساق بل هو خطأ محض.

٢ – أن الإمام ابن فضال بلغ شأوًا عاليًا كافة ولا أدل على ذلك من المؤلفات التي بحثها براعته في هذا الباب وما تعظيم العلماء الكبار والولاة إلا دليل ناطق على المكانة السامقة التي تبوأها في كثير من الأمصار التي تصدر فيها شَأواً عالياً في العلوم كافة.

٣ – أن النكت القرآنية لابن فضال أودع فيه مسائل دقيقة دَبَّجَتْهَا ببراعة في التفسير والإعراب ولا سيما التي كثر فيها اختلاف العلماء .

٤ – رغم الدراسات التي أقيمت حول النكت لا زال المجال رحبًا لإقامة دراسات في هذا الكتاب الذي صغر حجمه وغزر علمه لتقريب مسائله وإبراز كنوزه.

وصية:

لما ذكرت آنفًا فإنني أوصي الباحثين في التفسير وعلوم القرآن وعلوم العربية بأن يعنوا بهذا الكتاب الذي صغر حجمه وكثر علمه لينهلوا من معينه التر الصافي ويقربوا علومه ويبرزوا كنوزه.

ويعد فهذه إلماحة ترشد إلى غزارة علم ابن فضال وكتابه (النكت) لعل الله ينفع بها من شاء من الباحثين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

فهرس الصادر والمراجع

١. أسئلة القرآن لمحمد بن أبي بكر الرازي مراجعة مصطفي العدوي ط. مكتبة فياض للنشر والتوزيع المنصورة مصر ٢٠٠٧م

٢. الأنساب للسمعاني عبدالكريم أبو سعد السمعاني ت. المعلمي ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الهند ١٩٦٢م

٣. إكمال الإكمال لابن نقطة ت. عبد القيوم عبد رب النبي ط. جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية ط١ ١٤١٠هـ

٤. إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليمني ت. عبدالمجيد دياب شركة الطباعة العربية السعودية ١٩٨٦م

٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة لعلي بن يوسف القفطي ت. محمد أبو الفضل مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ٢٠٠٩م

٦. أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي طبع دار عالم الفوائد المملكة العربية السعودية ١٤٢٦م

٧. أحكام القرآن لابن العربي ت. علي البجاوي طبع دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٧هـ

٨. الأعلام لخير الدين الزركلي طبع دار العلم للملايين بيروت لبنان ط.(٥) ١٩٨٠م

٩. البداية والنهاية لابن كثير ت. محمد أبو الفضل مطبعة الخانجى مصر ط- ١٣٥٨هـ.

١٠.البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز ابادي ت. محمد المصري ط. مركز المخطوطات والتراث الكويت ط١ ١٤٠٧هـ

١١.بغية الوعاة للسيوطي ت. محمد أبو الفضل مطبعة الخانجي مصر ط١ ١٤٠٧هـ

١٢.البحر المحيط لأبي حيان ت. مجموعة من الباحثين طبع مؤسسة الرسالة ط١. ١٤٣٦هـ.

١٣.بغية الملتمس للصبي دار الكتاب العربي بيروت ط ١٩٦٧هـ.

١٤.بغية الطلب في تاريخ حلب كمال ابن العديم ت. سهيل زكار ط. دار الفكر بيروت بدون

١٥.تبيين كذب المفتري، لابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ط. مطبعة التوفيق، دمشق، ت.ط/١٣٤٧هـ.

١٦.تذكرة الحفاظ، للذهبي، طبعة دائرة المعارف، النظامية بحيدر آباد، سنة١٣٣٣هـ.

١٧.تفسير ابن أبي حاتم، أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

١٨.تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق. حكمت بشير، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٣١هـ.

١٩.تفسير القرآن العظيم، للسمعاني، تحقيق. ياسر إبراهيم، وعسيم غنيم، ط دار الوطن، الرياض، ط١ / ١٤١٨هـ.

٢٠.تلخيص أخبار اللغويين لابن مكتوم ، أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم،

مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم (٣٠٦٩).

٢١.جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد المحسن التركي، عالم الكتب ط١.

٢٢.الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق الفريق التابع، لمؤسسة الرسالة، ط مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٢٣.جواهر القرآن ونتائج الصنعة، للباقولي، تحقيق محمد الدالي، دار القلم، دمشق ط١، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

٢٤.الحلة في تاريخ أئمة الأندلس ومشاهيرهم، لابن بشكوال، مطبعة مدريد، ١٨٨٣م.

٢٥.الدر المنثور، للسيوطي، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار هجر، ط ١.

٢٦.روضات الجنان، لمحمد الباقر الحاجي، طبع فارس ، سنة ١٣٧٠ .

٢٧.سنن أبي داود مع شرح ابن رسلان، ط. دار الفلاح، ط ١/ ١٤٣٠ هـ.

٢٨.شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، لابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي، طبعة مكتبة القدس، سنة ١٣٥٠هـ.

٢٩.شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن الصالح بن عثيمين (١٤٢٠هـ)، ط. دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ت. ط / ١٤٢١هـ – ط٦.

٣٠.صحيح البخاري، تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة لبنان، ط١ / ١٤٣٢هـ.

٣١.صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، البابي الحلبي، توزيع دار الكتب العلمية،

ط١، ١٩٩٢م.

٣٢.طبقات الشافعي الكبرى، لابن السبكي، المطبعة الحسنية، سنة ١٣٣٤هـ.

٣٣.طبقات القراء للذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق د. أحمد خان، ط/مركز الملك فيصل، ت.ط/ ١٤١٨هـ، ط١ .

٣٤.طبقات المفسرين، للداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٣٥.طبقات المفسرين، للسيوطي، ١٨٣٩هـ.

٣٦.طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضي شهبة، (ت ٨٥١هـ) تحقيق د.محسن غياض ـ ط١، مطبعة النعمان ، النجف.

٣٧.قطف الأشراف الأزهار، للسيوطي، ت وزارة الأوقاف، قطر، ط١/ ١٤١٤هـ.

٣٨.الكتاب العزيز في إعراب القرآن المجيد، للمنتخب الهمداني، تحقيق محمد نظام الدين الفتح، دار الزمان، المملكة العربية السعودية، ط ١/١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٩.الكتاب لسيبويه، تحقيق. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٣/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٠.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، طبع أسطا ميول ١٣٦٠م.

٤١.لسان الميزان، للحافظ ابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد، سنة ١٣٣٩م.

٤٢.المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف الإسلامية، قطر، ط١/١٤٣٦ – ٢٠١٥م.

٤٣.مسند الإمام أحمد، تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، لبنان ط١ .

٤٤.معالم التنزيل، لأبي محمد البغوي (ت ٥١٦هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر، وزملاؤه، ط دار طيبة، الرياض، ت .ط / ١٤٠٩هـ.

٤٥.معاني القرآن، للأخفش، تحقيق هدى قراعة، مكتبة الخانجي، مصر، ط ١٤٣١/٢هـ – ٢٠١٠م.

٤٦.معاني القرآن، للزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط. بدون تاريخ.

٤٧.معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) تحقيق/ د. إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤١٣هـ.

٤٨.معجم المؤلفين لعمرو رضا كحالة، ط/ دار إحياء التراث العربي ومكتبة المثنى، بيروت، لبنان، بدون.

٤٩.مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله الرازي (٨٤هـ) ط دار الفكر، ط ١٩٨٥/٣م.

٥٠.المنتخب في السياق لتاريخ نيسابور، لأبي الحسن عبد الغافر الفارسي، تحقيق: (إبراهيم الصيرفيني، محمد أحمد عبد العزيز)، ط/ دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ت.ط/ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ن ط/١.

٥١.المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد،

سنة ١٣٥٧م.

٥٢.الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي، مجوعة من الباحثين، الشارقة، ط١/ ١٤٢٩هـ.

٥٣.هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، ط/دار العلوم الحديثة، بيروت – لبنان، ت.ط/ ١٩٥٥م.